مصر منذ تسعين سنة

(٣)

« حادثة سليمان آغا »

كتبت عقد الايجار في البيت لمدة ستة شهور وانفقت مالاً كثيراً لفرشهِ ومشترى اثاثهِ . وهاهم يقولون لي اما ان تتزوج او ان تتنصرى او ان تخرج منهُ

في اليوم نفسهِ ذهبت الى فندق دومرج Domerg لاستشير صديقي المصور وقبل ان اصل الى هناك رأيت في ساحة العتبة الخضراء جمعاً من السيَّاس يروِّضون الخيل . وفيما انا واقف اذا بشاب منهم ضخم الجثة يلبس جلابية زرقاء وعلى كتفهِ مشلح اصفر هجم عليَّ وعانقني فتبينتهُ فاذا هو سائس سليمان آغا الذي التقيت بهِ على السفينة النمسوية في البحر الادرياتيك وقد ذكرتهُ فيما سبق[1] فدفعتهُ عني برفق وقلت لهُ كلمة الاستحسان « طيِّب طيِّب » ولما التفتُ ورائي لادعو ترجماني عبد الله وجدتهُ ابتعد عني انفةً وترفعاً بعد ان رأى سائساً حقيراً من العامة يعانقني علناً . فقد افسد السياح الانكليز اخلاق هذا الرجل وجعلوهُ مثلهم انوفاً مترفعاً

فاخذ السائس بثلابيبي وقادني الى دار واسعة بالقرب من هناك رأيت فيها سيدهُ سليمان آغا متربعاً على مصطبةٍ فلما رآني عرفني ونهض لاستقبالي مرحباً بي واجلسني قريباً من مقعدهِ وكانت تلك الدار من دور الباشا حاكم مصر وسليمان آغا من اتباعهِ وقد جعلهُ مديراً لاسطبلاتهِ فاقبل الخدم وقدموا لي شبقاً قصيراً ودارت علينا القهوة اليمنية ذات الرائحة الذكية في فناجين ضمن ظروف من النحاس اللامع والتف حولنا جماعة يشاركونا في شربها

اما ترجماني فلم يرَ احد اتباع الحاكم يحتفي بي دخل وجلس بجانبي وجعل يترجم بيني وبين سليمان آغا الذي لم يعرف سوى بعض عبارات ايطالية التقطها مدة اقامتهِ في البندقية فاغتنمت هذه الفرصة لاستشارة سليمان آغا في امر تزوجي وقصصت عليهِ ما حدث لي مع القبطية صاحبة البيت وذكرت لهُ حديث شيخ الحارة فاصغى الى كلامي بانتباه واخيراً قهقه ضاحكاً وقال لي

---

(١) ذكر السائح هذا الرجل في الجزء الاول من سياحتهِ قبل وصولهِ الى مصر وقال انهُ من اتباع محمد علي باشا ارسلهُ الى اوربا ليرسل بعض الطلبة المصريين وفي الوقت نفسهِ كلفهُ ان يشترى بعض الخيل وغيرها من اسواق اوربا

— لقد صدقك شيخ الحارة واخلص لك النصيحة فمن كان مثلك شاباً وفي سعة من العيش يجب ان يتزوج لا مرة واحدة بل مراراً (يعني ان اجمع بين الزوجات)

— ولكن ديننا وعاداتنا تحرم علينا التزوج باكثر من امرأة واحدة فمن اتخذ زوجة لهُ فهي رفيقة حياته فيحسن بهِ والحالة هذه ان يتروى في انتخابهِ تلك الزوجة الدائمة

— هاها يظهر انك تندد في كلامك ضمناً بشريعتنا المطهرة . هل تخلص لكم زوجاتكم الروميات (يعني الاوربيات) الحب بعد ان يسفرن الوجوه و يظهرن محاسنهن لكل عابر سبيل

ثم قهقه والتفت نحو الجالسين حولهُ وقال لهم بالعربية : « لقد رأيت في اوربا كل النساء سافرات الوجوه عاريات الصدور عليهنَّ ملامح الشهوة والغرام يحدقن بنظراتهنَّ الفاتنة في كل شاب و يصافحن القريب والبعيد » . فقهقه الجميع من هذا الكلام . فاجبت الاغا بواسطة ترجماني « انك تعني النساء المتهتكات وهنَّ كثيرات في شوارع اوربا اما النساء المحصنات فلا يخرجن من بيوتهنَّ الاَّ مع ازواجهنَّ او مع ذوي قرابتهنَّ »

فلم يجب سليمان آغا على ملاحظتي هذه واستأنف الكلام فقال « وفضلاً عن ذلك ليس في بلادكم جمال رائع والمرأة عندكم مهما كانت جميلة اشبه شيء بزهرة ذابلة فانها ممتقعة السحنة وعليها ملامح الامراض والشقاء واكثر النساء فقيرات يتضورن جوعاً و يشتغلن كالرجال او يخاطرن العذار لتحصيل قوتهن او ارامل قتل ازواجهن في الحروب[1] . اما المرأة عندنا فتعيش مع ضرائرها وخادماتها براحة وهناء

ووصف لي في حديث طويل كيفية المعيشة الداخلية عند الاسر الغنية وان كل شيء يحفظ بنظام واخيراً ختم حديثهُ بدعوتي الى الاسلام قائلاً انهُ دين الحق في الدنيا ودين الجنة في الآخرة . فشكرتهُ على ذلك ووعدتهُ بالتروي بعد ان ادرس اصول هذا الدين وخرجت من عندهُ مودعاً . ولم يعلم هذا الغيور على دينهِ انهُ عبثاً يحاول اقناع تلميذ من تلاميذ فولتير بالتمال دين مخصوص . وعندي ان كل الاديان التي يعبد الله فيها وتأمر بالشرائع الطبيعية سواء . ثم ذهبت من هناك قاصداً مقابلة صديقي المصور

— وصف الموسكي —

خرجت من الميدان فالتقيت عند مدخل الموسكي بجارة لصيقي رومي (اوربي) داخلها

(١) لقد صدق سليمان في قوله هذا عن اوربا في ذلك العهد كانت شعلة نار بعد ان اوقد بونابارت نار الحروب في جميع انحائها من غربيها الى شرقيها حتى قلب روسيا فبات اكثر نساء اوربا ارامل او ثواكل قتل ازواجهنَّ وابناؤهنَّ في الحروب والمجازر التي يصفونها (بالمعارك الجيدة)

براميل الخمر وصاحبها جالس امام بابها ولباسهُ يدل على انهُ نصف شرقي ونصف اوربي ولا اعلم هل كان يونانيًّا او مالطيًّا او مرسيليًّا . وكان يحمل في يدهِ سوطًا مصنوعًا من ذنب ثور لاظهار سلطتهِ على مثال الافرنج والاتراك . اما المصري فلا يجوز لهُ ان يحمل بيدهِ سوطًا بل لهُ ان يلقي قرعاتهِ على ظهرهِ

ورأيت عند باب الحارة جمعًا من المتسولين متوسدي التراب عراة الابدان اكثرهم عميان او من ذوي العاهات يستعطون من الافرنج المترددين الى الحانة او من السياح . وبالقرب من ذلك المكان مكتبة مدام بونوم يجتمع فيها كثيرون من الافرنج والسوريين والاتراك المتعلمين لقراءة الكتب ومطالعة الجرائد التي ترد من فرنسا . وهذه المكتبة جمعية اخبار الشرق والغرب

ثم دخلنا سوق الموسكي وهناك المخازن الكبيرة على الجانبين تعرض فيها السلع على انواعها من النسجة وحلى وغيرها من المصنوعات الاوربية واكثر التجار من الافرنج والسوريين . ولا يؤم هذه السوق احد من المصريين لانهم لا يجدون ما يحتاجون اليهِ وكل ملبوساتهم من المصنوعات البلدية والشامية التي تباع في الغورية

وعن شمال مدخل الموسكي حي الافرنج والسوريين (درب الجنينة) وفيهِ كنائسهم وبيوت القناصل . وبالقرب من الخليج حانة لاحد الانكليز سميت حانة بيرا والحقيقة انهُ ليس فيها سوى الهويسكي والمادير والآيل (العرقي الانكليزي) يمزجهُ صاحبهُ بماء النيل . وبالقرب من هناك اجزاخانة كاستانيولا الشهيرة يجتمع العظماء من الاتراك والمشيرين والقواد والوزراء والامراء والبكوات واكثرهم من الافرنج منتحلي الاسلام او من بقايا الحملة الفرنسوية الذين فضلوا الاقامة في مصر على العود الى بلادهم ودخلوا في خدمة الباشا فمنهم اطباء ومهندسون واساتذة علم وقواد . وفي داخل الاجزاخانة مجلس مزين بالمقاعد الخريرية وعلى جدرانها الصور والنقوش البديعة . وهؤلاء القوم يجتمعون للسامرة والحديث ويتعاطون المشروبات الفاخرة والخمور المعتقة ويتناقلون الاخبار الشرقية والغربية . والاجزاخانة اشبه بمجتمع سياسي للعظماء بل هي مركز البريد لان اكثر الرسائل التي ترد من اوربا باسم الافرنج توزع على اربابها في هذا المكان ولكن على غير انتظام لان البواخر لا تنقل البريد الى الاسكندرية الا مرة واحدة في الشهر

وقد التقيت في هذه الاجزاخانة بصديقي مارقات المصور فرحب بي وعرض عليَّ ان ارافقهُ الى نزهة داخل البلدة يأخذ فيها بعض رسوم ومشاهد قديمة . فقبلت دعوتهِ وصرفت

الترجمان لعدم احتياجي اليه . وقد سررت من مرافقة المصور في داخل احياء المدينة مؤملاً مشاهدة ما فيها وقصدت ان اتوغل في الازقة والاسواق الاهلية وهو ما لا يتم لي بمرافقة الترجمان اذ كان يقول لي ان تجوال الافرنجي وحده في تلك الاحياء بين المسلمين ذو خطر عظيم على حياته . وقد وجدت بعد اختباري انهُ مخطئ في زعمه هذا لان المصريين مسالمون . ثم ان اكثر التراجمة جهلاء لا يعلمون من المدينة سوى بعض آثارها القديمة وهم اذا ساروا وحدهم في احيائها الاهلية يضلون السبيل وامنيتي الوحيدة هي الاختلاط بطبقات الامة لادرس اخلاقهم

***

استأجرنا ثلاثة حمير فركبنا اثنين ووضع المصور عدتهُ وكرسيهُ والواحهُ على الثالث وكان الحمّار صاحبها يتبعنا وهو يزعجنا بصراخه المتواصل « عينك شمالك » اما اذا رأى امرأة فانهُ ينتهرها بغضب واحياناً يدفعها بيده بخشونة قائلاً لها « اوعي يا بت » وذلك دليل على سلطة الرجل على المرأة عند الشرقيين مهما كان مقامهُ

فاجتزنا قنطرة الخليج وسرنا في سوق طويلة فيها دكاكين باعة الخزف والصيني تخللها حارات ضيقة وجوامع خربة ينتهي آخرها الى سوق العطارين (لعلهُ سوق الحزازي الآن) . ثم جئنا في شوارع بعضها كثير الزحام وبعضها مقفر ورأينا جوامع عظيمة متداعية الى الخراب وقصوراً قديمة لمماليك اكثرها مهجور . واجتزنا بوابة عظيمة فخمة متينة البنيان عالية الاسوار وهي احدى البوابات العظمى (لعلها باب الفتوح) . والمدينة منقسمة الى ثلاث وخمسين حارة كبيرة ولكل حارة شيخ وخفر وجنود وحرس وجميع سكانها من المسلمين عدا حارة النصارى (الاقباط) في الازبكية وحارة الاروام هناك . اما حارة الافرنج والسوريين والمالطيين فعن شمالي الموسكي كما تقدم القول . وسكان كل حارة من حارات المسلمين لا يختلطون بسكان الحارات الاخرى حتى ان الكلاب السائبة في كل حارة لا تجاوز الى غيرها والاَّ لعرضت نفسها لعدوان الكلاب في الحارة الاخرى . وكانت تتبعنا في مسيرنا مكشرة عن انيابها علينا حتى ندخل الى حارة اخرى تتلقانا كلابها . ولا تزال تنابحنا بنباحها حتى نخرج من ارضها وبعد مسيرة بضع ساعات وصلنا الى ضفة من ضفاف الخليج عند آخر المدينة وهناك بيوت حقيرة وغيطان وحدائق تخللها اشجار النخل وتعرش عليها دوالي العنب . وقهوات وطنية (لعلهُ وصل الى نواحي البكرية) وكانت كراسي تلك القهاوي ومقاعدها من الجريد وهي مصفوفة على ضفة الخليج والمياه العكرة تجري من تحتها والمدخنون في الشرفات والغرجيلات

البلدية المدعوة « الجوزة » جلوس تدار عليهم القهوة او تتبع الاثمار بطاسات من النحاس

جلسنا في غيط بالقرب من الخليج واخذ المصور عدته ونصبها و بدأ يصور على لوح منظراً بديعاً كان امامنا يمثل اشجار النخيل وفوقها قرص الشمس مائلاً الى المغيب . وفي وسطها جامع قديم فيه مأذنة مزخرفة فجلست بالقرب من صديقي واغتنمت الفرصة وكلمته بما دار من الحديث بيني وبين شيخ الحارة وما عرضهُ عليَّ من امر الزواج ولما اتممت حديثي التفت اليَّ وقال

« لا تتزوج يادي نرفال ولا تتقيد بامرأة في هذه البلاد . ماذا يريدون منك يطلبون ان تسكن مع امرأة حسناً ما اسهل هذا الامر . هنا كثيرات منهنَّ فافعل كما فعلت انا . ففي الاسواق كثيرات من بائعات البرتقال والفاكهة ومنَّ جميلات يتهادين دلالاً بثوب طويل ازرق يجرّ الذيول ولهن معاصم مستديرة مطوقة باسورة فضية وارجل عارية حولها الخلاخل وصدور بارزة . وعلى رؤوسهنَّ عصائب مطرزة مدلاة الاطراف وفي اعناقهنَّ قلائد الذهب . وهنَّ على هذه الهيئة كازيس ملكة الجمال او كفينوس في الاوليمبوس ولا ينقصهن سوى ان يحملن في ايديهن عصا ذهبية . قلت انك تتكلم كمصور يصف الفنون الجميلة و يتغزل بجمال الطبيعة ولكن الا تعلم انهن محصنات ولهن بعول واهل فلا يمكن ان اسكن مع واحدة منهنَّ . وزد على ذلك انهُ ليس من شيمتي ولا من ادابي ان اساكن امرأة بصفة غير شرعية واهم من هذا اني اجهل اللغة العربية . فقال لي ساخراً الحق معك فاذهب وتزوج ان شئت »

و بعد حديث طويل تركت المصور وحولهُ جمع من العامة والغلمان يتفرجون عليهِ يحسبونهُ من السحرة او الافرنج كاشفي خبايا الكنوز . ثم توغلت وحدي في الاسواق ورجعت الى الاحياء الوطنية حتى وصلت الى سوق البازستان

— حادثة البازستان —

البازستان سوق او قيصرية على الطراز القديم بسقوف عالية ومسالك ضيقة تعرض فيها المصوغات والحلى وجميع المصنوعات الشرقية والاقمشة والطرف والتحف البديعة الواردة من جميع انحاء الشرق كالقسطنطينية و بروسة و بغداد ودمشق . وقد تخيلت وانا في هذا السوق كاني في اسواق بغداد الموصوفة في كتاب الف ليلة وليلة وخصوصاً في حكاية التاجر القبطي مع سلطان كشغر (يصف غالباً سوق الخليلي) . ورأيت هناك امرأتين محجبتين تساومان تاجراً على مشترى ثوب من الحرير من نوع الموصلين المطرز بالذهب من صنع بروسة فدفعني الفضول الى الوقوف بالقرب منهما وهما تقلبان طاقة القماش . وكانتا تنظران اليَّ

خلسة وتضحكان من هيئتي الغريبة ولباسي الافرنجي . والبائع يقول لها « اسطنبولدن » اي من واردات اسطنبول . فاقتربت واخذت الثوب بيدي اقلبهُ واظهرت الاستحسان بقولي « طيّب » فكفى هذه اقنعت المرأتين على ما رأيت واتفقتا مع البائع على الثمن . فقطع لها القماش وحملهُ خادمها الغلام فسار بتبعهما ثم التفتت احداهما نحوي وضحكت فحييت ذلك اشارة بالوداع او بالاتباع وكانت ترفع نقابها من حين الى حين فتبعتهما مسروراً وسارتا في في طرق مزدحمة ومنعطفات منفردة ومنعرجات غير نافذة حتى وصلتا الى بوابة كبيرة تحت اقبية شاهقة مشيدة الاركان على جانبيها آثار شامخة جوامع البنيان (ربما يصف بوابة المتولي) . ثم دخلتا في طريق ضيقة وخرجتا الى شارع على جانبهِ جامع مزخرف الى ان وصلتا الى باب دار كبيرة داخلها عرصة واسعة فدخلت فيهِ المرأتان وخادمهما . فدخلت على اثرهما ورأيت حوشاً كبيراً حولهُ المقاعد وفي صدرهِ ايوان باحمدة . واذا انا وحدي في تلك العَرَصة ولا اعلم اين اختفت المرأتان فرفعت نظري ورأيت جدرانًا عالية تخترقها بعض النوافذ الموصدة بمشربيات بارزة

فاعترتني المواجس وهممت بالخروج من هذه الدار الخفية وحينئذٍ فتح باب صغير وظهر امامي رجل سوداني طويل القامة كالمارد فاوجست خيفةً منهُ وصرت اومئُ اليهِ باني ضللت الطريق ودخلت الى الدار خطاء ورأيت ان كلمة « طيب » التي لا اعرف سواها لا تكفي لاقناع هذا الاسود بتبرئتي . وحينئذٍ سمعت صوت ضوضاء وفتحت بعض الابواب وخرج منها خدم واعوان وسيّاس وآغوات والتفوا حولي فايقنت بالهلاك . ثم اقبل من باب الحريم رجل ابيض اللون عليهِ سيماء الوجاهة والخيلاء يلبس ثوبًا فاخراً على الطرز التركي فادركت انهُ صاحب الدار وعلمت ان المرأتين اوقفتاني في شرك الردى وان اباها هذا او بعلها يريد الايقاع بي لانتهاكي حرمة بيتهِ فلم يعد في وسعي الاَّ تبرئة نفسي بكلام ممزوج بكل اللغات التي اعرفها كالفرنسوية والايطالية والالمانية والانكليزية واليونانية ممازجها احيانًا كلمة «طيّب» لعل صاحبنا يفهم لغةً منها فيعلم ما بضميري . وكنت اشفع دفاعي باشارات وحركات بيدي ورأسي كما يفعل المتهم امام القاضي مبرئًا نفسهُ

وكان الرجل يصغي الى كلامي متبسماً فهدأ روعي وقال لي بالفرنسوية الفصحى على دهشةٍ مني « تفضل يا مسيو وادخل معي فعندنا سعة من الوقت للتكلم بصراحة »

ثم اخذ بيدي بلطفٍ وقادني الى بهو واسع منقوش الجدران برسوم زاهية وفيهِ رياش فاخرة تطل نوافذهُ على حديقةٍ غناء . فجلسنا معًا على مقعد حريري وقدمت لنا القهوة

والشبقات . فذكرت لهُ حينئذٍ بصراحة اسمي ولقبي وقصدي من التوغل وحدي في الازقة والشوارع الوطنية للاختلاط بالقوم ودرس اخلاقهم ومعيشتهم في داخل بيوتهم . وان الفضول دفعني للدخول الى بيته لما رأيت من سعة عرصته وزخرفة مدخله . وادركت من ابتسامته المكربة انهُ لم يعز كلامي تصديقاً وتأكدت ان المرأتين اعلمتاهُ باني كنت اتبعهما . ومع كل ذلك بدأ يتودد اليَّ وسألني عن الاخبار الاوربية واخيراً علمت انهُ فرنسوي مثلي فتصور عظم دهشتي . وبعد حديث طويل دعاني للغداء عندهُ بين اسرته ولم يرَ نكراً في ذلك فاصعدني الى منزل حرمه وهناك عرفني بالمرأتين اللتين اتبعتهما من سوق « البازستان » فالواحدة كانت زوجتهُ وهي اوربية مثلهُ والاخرى اختها فصافحتاني باليد على الطريقة الافرنجية . واطرقت برأسي حياء وخجلاً منهما ثم رأيتهما تبتسمان من موقفي هذا الخرج . وبعد هنيهة ارتفعت الكلفة بيننا وكانتا تكلماني بالفرنسوية الفصحى ولا سيما الكبرى خولاني وحدي بلا ترجمان في الاحياء الوطنية وقالت لي بصراحة لو اتبعت امرأة وجيهة غيرهما ودخلت الى بيت غير بيتنا لاوقعت نفسك في خطر عظيم

ثم جلسنا على المائدة ودار الحديث بيننا عن شؤون مختلفة وكانت قاعة الحريم واسعة عالية السقوف مزخرفة مفروشة بالريش الفاخر وعلى جوانبها مقاعد من الحرير وفي وسطها نافورة صغيرة من المرمر على حافتها اسد من نحاس يجري الماء من فيهِ . وعلى جدران القاعة رفوف عليها آنية الصيني والخزف وغيرها من المصنوعات الشرقية الثمينة . وعلى الاربعة الجدران اربع مرايا كبيرة وفي وسطها طاولة حولها سبع فتيات جالسات يشتغلن في التخريم والتطريز ومن هؤلاء البنات بين العشر والعشرين . فنهضن حين دخولي ولتقدمت الصغرى وقبلت يدي وكن لابسات الاثواب المختلفة الالوان على الزي الشرقي . والامر الذي ادهشني كثيراً اختلاف الوانهن وهيآتهن بين بيضاء وسمراء وحبشية ونوبية ومع ذلك فآثار الجمال بادية على وجوههن رغماً من اختلاف اجناسهن . وكانت صاحبة الدار واختها تضحكان من دهشتي والحقيقة ان هذا المنظر لمن الغرابة والدهشة بمكان اهل هؤلاء النساء الحسان سراري الرجل ام جواريهِ ام بناتهُ ؟ . ثم تقدمت احداهن وقدمت لنا الشبقات والقهوة بعد الاكل

وقد علمت اثناء الحديث ان هؤلاء الفتيات هن بناتهُ من زوجات مختلفات الجنس . فماذا يريد الرجل من عرضهن امامي ؟ علمت من كلامهِ ومقامن زوجتهِ انهما يعرضان عليَّ ان انتخب من بينهن زوجة لي . عجباً هل اتيت الى مصر لأتقيد بالزواج بفتاة فرنسوية شرقية ؟

فضيفي هذا فرنسوي الجنس وكان ضابطاً في الحملة الفرنسوية فلما رجعت الحملة الى فرنسا ابث في مصر وتزوج على الطريقة الشرقية بعد ان انتحل الاسلام وعرض خدمتهُ على محمد علي باشا حاكم مصر فقبلهُ كما قبل غيرهُ من الضباط والاطباء والمهندسين الفرنسويين وجعلهُ قائداً لفرقة من الجنود كان كثيرون منهم قد اختاروا مصر وطناً لهم واستوطنوا باختيارهم وتقيدوا بشرائع البلاد وعاداتها وتخلقوا باداب القوم وتزيوا بلبسهم وتزوجوا منهم. واكثرهم ولدوا ونشأوا ابان الثورة الفرنسوية الكبرى فلم يكن للدين عندهم اهمية كبيرة فاشربوا مبادئ الاباحة والحرية والمساواة حتى في الدين وجلهم دخلوا في الالواج الماسونية ولما حضروا الى مصر لم يستصعبوا اتخاذ دين يجعلهم من ارباب السلطة والنفوذ و يتيلهم وجاهة وهناء . وقد اخلصوا الخدمة للبلاد التي اتخذوها وطناً جديداً لهم ولذريتهم وكانوا عضدا لحاكم مصر في ترقية البلاد وحضارتها ماديًّا وادبيًّا

فصاحبنا هذا « سليمان بك » نال حظوة كبيرة لدى محمد علي باشا لنشاطهِ وصدق خدمتهِ وامانتهِ فانعم عليهِ برتبة بك وهي رتبة عالية تعادل رتبة كونت عندنا لا تعطى الاَّ للوزراء والنجال الحاكم . فاثرى وسكن القصور واقتنى العبيد والجواري وتزوج بكثيرات من النساء حسب السنة وفي قصرهِ كثيرات من النساء والجواري الحسان التركيات والمصريات والسناريات والحبشيات . وكان من قواد الحملة التي ارسلها محمد علي باشا لتخليص المدن المقدسة في الحجاز من ايدي الوهابيين الخوارج تحت قيادة نجلهِ طوسون بك

ولما صار الرجل كهلاً ذكر وطنهُ القديم واختلج في فؤادهِ الحنين الى فرنسا فتزوج بابنة قنصل فرنسا في مصر وكان ابوها قد توفي على اثر مرض واقامت اختها عندها فاشترطت عليهِ ان يهجر نساءهُ المصريات والحبشيات فطلقهن وكتب كتابهُ على هذه الفرنسوية حسب الشريعة الاسلامية ولكنهُ اشترط عليها مقابل ذلك ان تتخلق بآداب القوم وعاداتهم ولا تظهر لاجنبي ولا تخرج من بيتها الاَّ محجبة . وكان لهُ من نسائهِ الاولى اربعة اولاد ذكور وسبع بنات فادخل البنين في المدرسة الحربية التي كان استاذاً فيها اما البنات فهنَّ اللواتي وصفتهنَّ . وأما ابنة القنصل الاخرى فلم تشأ ان ترجع الى فرنسا وفضلت البقاء مع شقيقتها املاً ان تجد عريساً شرقيًّا من القواد والوزراء

وعند المساء ودعت مضيفي سليمان بك وزوجتهُ وشكرتهما على احتفائهما بي ووعدتهما بزيارة اخرى ولكني لم اقم بوعدي خوفاً من ان تؤوَّل تلك الزيارة بقبول ما عرضا عليَّ

وفي الصباح حضر ترجماني عبد الله وطلب مني ان اقيلهُ من الخدمة لانهُ سيصحب

سائحاً انكليزياً الى الصعيد فزِ اشأ ان احرمهُ تلك الفائدة وظهر لي انهُ واجد عليَّ لاني تركتهُ وذهبت وحدي في شوارع القاهرة . وعندهُ ان سائحاً مثلي يسير وحدهُ في ازقة البلد وحواريها لهو سائح صعلوك « مفلس » وعرض خدمتي بربرياً من اصدقائهِ عوضاً عنهُ مدة اقامتي في مصر فقبلت ورأيت هذا البربري واسمهُ ابرهيم صالحاً للخدمة يفهم بعض كلمات ايطالية ومالطية

وفي المقالة التالية خبر ما جرى لهذا السائح بين الاسر القبطية ديمتري تقولا

باب الزراعة

تثبيت النتروجين الجوي[1]

يحدث النقص في النتروجين الذي هو اهم عناصر التغذية النباتية بانفصالهِ من التربة بعضهِ او كلهِ وتصاعدهِ الى الجو كناتج إثر عمليات التعفن والانحلال وعكس النتيجة التي تحدث في التربة على الدوام . كان من اللازم ان يسد هذا النقص بعمليات اخرى تعيد بالتركيب ما تحدثهُ الاولى بالتحليل فيجمع بسببها عنصر النتروجين الجوي ثانية ويثبت في التربة على صور مركبات نتروجينية فكأن الطبيعة تحول دون توالي النقص في اهم العناصر للتغذية النباتية دفعاً لما يترتب على ذلك من الخسائر الفادحة

من عمليات التركيب المذكورة ما يحدث في الجو ومنها ما يحدث في التربة نفسها وليس من غرضنا ان نتكلم على العمليات الجوية لانها ليست بكتريولوجية وانما يكفي ان نعرف عنها اجمالاً انها تتم بتأثير عوامل طبيعية تحدثها كهربائية الجو ففي وقت لمعان البرق يتحد النتروجين بالاكسجين في الجو بنسبة قليلة جداً فينشأ عن اتحادهما اكاسيد النتروجين التي يتكون منها الحامض النتروس والحامض النتريك عند اتحادهما بمياه الامطار

ليست مقادير النتروجين التي تصل الى التربة من الجو ذائبة في مياه الامطار كافية لتغذي النباتات بنتروجين الهواء وليست كذلك كافية لسد ما وقع في التربة من نقص النتروجين لذلك امكن العلماء تحقيق مسألة مهمة وهي هل يمكن تثبيت النتروجين في التربة

---

(1) Fixation of atmospheric Nitrogen